مجلـة جامعـة تشرين للدراسـات والبحـوث العلمية
المجلـد ٥ - العـدد ٤ مـن ١١ إلـى ٢٦

ربيع الأول ١٤٠٣هـ
كانون الأول ١٩٨٢م

«ميادين الدراسات العليا وسبل ربطها بمتطلبات الواقع»

د . سلوى الخيّر
كلية الآداب

هيكل البحث

يتألف البحث من مقدّمةٍ نظـرية تلقـي بعض التسـاؤلات حول الواقـع الحضـاري العربي ، وعن الدور الذي يمكن أن تلعبه الدراسات العليا في اعادة صياغة هذا الواقع على أسسٍ حضارية جديدة . ثم من متنٍ تحليلي يعالج مسألـة ربـط ميادين الدراسـات العليا بمقتضيات الواقع ، والمعوّقات التي تقف حائلاً دون ذلك والسبل اللازمة لتجاوزها من وجهة نظر شخصية تحليلية تعتمد على سبر معطيات الواقع ، ولا تتحرج من طرح بعض الآراء والمقترحات بشأن مواجهتها .

هذا ويسير مخطط البحث وفقاً للترتيب التالي :

١) مشهد وذكرى

٢) المرحلة الراهنة والتحدي المصيري .

٣) الحاجة الى نهضة عربية جديدة .

٤) الدراسات العليا إمكانات وتبعات .

٥) واقع الدراسات العليا بعض المؤشرات ـ بعض المحاذير .

٦) اتصال أم انفصال .

٧) ميادين الدراسات العليا وسبل ربطها بالواقع .

ـ التخطيط أولاً ، تحديد الأهداف وتحديد السبل .

ـ طبيعة اختيار الموضوعات المناسبة .

ـ البحث عن مناهج ملائمة للمعالجـة .

ـ الانتقال من المجال النظري الى حيز التطبيق .

ـ دور المؤسسة التعليمية في تسهيل العمل وتغطية نفقاته .

ـ تبادل الخبرات والمعارف والمساعدة بين البلاد العربية .

ـ البعثات الخارجية موقف واقتراح .

١ ـ مشهد وذكرى

كان في خاطري وأنا أعدُّ العدة لهذا البحث مشهدٌ وذكرى . . أما المشهد فلوحة واسعة ترتسم على صفحتها صورة الواقع العربي بكل تفاصيله وجوانبه . . بما يتخلله من معالم قاتمة هي بمثابة مظاهر السلب والتردي التي ليس بالامكان تجاهلها أو الصمت عليها . وكذلك بما تستبطنه صورة هذا الواقع من عوامل ايجابية ، أعني من قدرات وامكانيات معطلة أو مهدورة أو منحرفة الاتجاه تستطيع لو أحسن استخدامها مجتمعة أن تغير وجه الواقع العربي ، وتقلب صورته رأساً على عقب .

وأما الذكرى ، فإنها تعود بي الى فترة الانبعاث القومي في أواخر القرن الماضي ومطلع القرن الحاضر . . لقد كانت الصورة العامة أشد قتاماً ، والأوضاع أشد ترديا وتشابكاً . استبداد عثماني بغيض ، وجماهير جاهلة مسحوقة ، فقيرة ، مستلبة ، وأطماع خارجية متربصة وغير ذلك من مظاهر السلب التي تكاد توحي للمرء بأن لا قيامة .

ومع هذا ـ أو لنقل برغمه ـ قامت حركة الانبعاث القومي في أواخر القرن الماضي ومطلع القرن الحاضر لتعبر عن وعي هذه الأمة لذاتها واحساسها بهويتها ورغبتها في التحرر والانعتاق ، في تحقيق كيانها القومي الموحد ، وفي امتلاك سيادتها الشخصية على أمورها ، وتجاوز واقعها المتخلف من أجل استئناف دورها الحضاري الهام الذي كان لها في الماضي .

وكان بعض ذلك بالفعل ، فعلى جسور من الضحايا والتضحيات عبرت الأمة العربية لجة الضياع والغياب والاستلاب الى شاطىء العثور على الذات وتأكيد الهوية والوجود .

وقد لعب الفكر ـ بكافة مجالاته ـ دوراً أساسياً وهاماً في تلك الحركة عبر ما سمّي آنذاك بفكر النهضة أو الإحياء القائم على بعث الماضي المشرق للأمة ، الأفكار والتقاليد الايجابية التي تعود الى العصور الزاهية ، واستنفار كل ما من شأنه تذكير جماهير الأمة بماضيها الحضاري ، ودعوتها أو الاهابة بها للعودة الى مواصلة ذلك الدور العظيم .

كلنا يعلم أن فكر النهضة ، أو بعبارة أشمل ما نسميه بحركة الانبعاث القومي ـ على الرغم من خطورتها التاريخية آنذاك ـ وعلى الرغم من بسالة ما حققته ، لم تستطع تحقيق أهداف الأمة في بناء المجتمع العربي الحر الموحد ، وفي وضع أقدام هذا المجتمع على درب المواصلة الحضارية الذي نطمح في الوصول اليه ، ولا شك أن ذلك يعود لأسباب متعددة ، بعضها داخلي ذاتي يكمن في فكر النهضة وخط سيرها الذي ارتضته ، وبعضها موضوعي خارجي يعود الى شراسة الظروف التي أحاطت بها وأحبطت آمالها ، وهي ظروف معروفة ، لذا لا أجد ما يدعو للحديث عنها الآن .

٢ ـ المرحلة الراهنة والتحدي المصيري

ان ما يجب التركيز عليه هو واقعنا العربي الراهن ، طبيعته ، جوانب السلب فيه ، وأولياته الملحة .

فهل ترانا نعيش اليوم ـ ومرة أخرى ـ برهة انهيار جديدة ؟ وهل برهة الانهيار هذه تتهدد الامة ليس فقط في دورها الحضاري ومشاركتها أو عدم مشاركتها في ركب التطور ، بل فيما هو أخطر من ذلك بكثير ، في وجودها الإنساني كأمة تواجه عدواً فاشياً عنصرياً شوفينياً يبغي إزاحتها من أرضها والحلول محلها .

لابدَّ من الاعتراف بأننا نعيش تلك البرهة المظلمة ، فما سقوط بيروت على مرأى ومسمع من العرب كافة سوى مؤشر خطير لعصر انحدار عربي مريع ندلج في ظلمته دون أن نحس به .

واذا كان المصطلح السياسي الدولي قد أطلق على الحكم العثماني في فترة انهياره لقب (الرجل المريض) فليس غريباً أن يطلق داهية معاصر مثل «هنري كيسنجر» على العرب لقب «الجثة الهامدة» .

نحن إذاً نعيش ـ إن لم يكن في الحقيقة ـ ففي نظر أعدائنا على الأقل حالة انهيار تقارب حد الهمود .

ونحن إذاً أحوج ما نكون اذا أردنا تفويت الفرصة عليهم وإحباط مشاريعهم الى استنفار كافة القوى والطاقات والامكانات الكامنة والظاهرة ، المادية والبشرية ، وتسخيرها لسد متطلبات الواقع الضرورية والأولية ، من أجل إعانة الأمة على تجاوز مأزقها القومي والحضاري معاً ، وفي وقت واحد .

هذا الأمر ـ في اعتقادنا ـ يجب أن يكون نصب أعين الجميع ، نصب أعين كافة المعنيين بسائر النشاطات والفعاليات في البلدان العربية ، سواء منها الفكرية أو المادية على السواء . وهذا يعني ـ فيما يعنيه ـ الحاجة الماسة والملحة الى نهضة عربية جديدة ، تقف على أكتاف النهضة السابقة ، تستلهمها ، وتستوحيها وتتجاوز أخطاءها وسلبياتها مراعية الظروف الراهنة والتحولات التي استجدت على الساحة ، وطبيعة القوى السلبية والايجابية التي تغيرت ضدنا أو لصالحنا .

---

١ ـ ليس من الحالات التاريخية النادرة أن تقف سورية والمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وحدها في مواجهة الغزوة الصهيونية دون أن يحرك العرب ساكناً أوليس ذلك مؤشراً لمأزق تاريخي على درجة كبيرة من الخطورة .

٣ ـ الحاجة الى نهضة عربية جديدة

قد أُتَّهم بالطوباوية عندما أتحدث عن مشروع نهضة عربية وقد يجبهني بعْضهم بالقول أن الظروف غير مواتية ، فثمة سحب كالحة تلوح في الأفق ، وليس هناك استقرار يتيح المجال لإرساء قواعد لأي شيء ، بَلْهَ لنهضة حضارية جسيمة كالذي نطمح اليه ، اي أنه ما من سبيل في رأيهم لقيام نهضة شاملة ، وكل نهضة جزئية مهددة بالتعثر والاخفاق نظراً لأنها مجبرة على الاصطدام بالجوانب المتدهورة من حولها .

فما العمل ؟!

نقول إنّ الأمر ـ في رأينا ـ ليس كذلك ، وإنه ـ برغم كل شيء ـ تنبغي المبادرة الى قرع أجراس هذه النهضة آخذين بعين الاعتبار جملة من الأمور :

ا ـ أن ميلاد النهضة من رحم التدهور أمر يسوّغه قانون الجدل ونفي النفي ، فالأمور إنما تتولد من أضدادها ، وكلما كان حجم التدهور مريعاً ومتفاقماً ، كلما كانت احتمالات النهوض والانبثاق من خلاله قائمة وواردة اذا توافرت الارادة الصادقة لذلك .

ب ـ أن مثل هذه النهضة تتطلب من القائمين عليها مسؤ ولية مزدوجة ، مسؤ ولية النهوض بحد ذاتها ، ومسؤ ولية تذليل الصعاب التي تعترض هذا النهوض كيلا يتعرض جوهره للتزييف أو الانحراف أو المصادرة أو ما شابه ذلك .

جـ ـ وجود الكادر اليقظ الذي يسهر ويراقب تطورات هذه النهضة في الميادين المختلفة ويبحث عن الأساليب والسبل الضرورية اللازمة لدفعها وتسريع وتائرها .

ومن يكون هذا الكادر اليقظ المسلح بالوعي والمعرفة والخبرة والاختصاص ؟!

هل تراني وصلت الى ما أريد ؟! أعني الى القول بأن الدراسات العليا بطبيعتها وموقعها ، بكافة ميادينها وفروعها وكوادرها مطالبة ، وأكاد أقول مهيأة ، لأن تلعب دوراً أساسياً جوهرياً في عملية النهضة المنشودة ، وفي إرساء قواعدها على أسس علمية حديثة قوية وثابتة ومتكاملة ، بحيث يشد بعض جوانبها أزر بعض ، وبحيث لا تتعرض للنكوص أو للارتداد ، أو التخريب أو المصادرة مرةً أخرى .

***

ولا بدّ لي قبل أن أبدأ بتحليل هذا الدور وتسجيل ملاحظاتي حوله من إثبات نقطتين هامتين :

ـ الأولى ، هي أنه برغم كل مظاهر السلب والتردّي ، فإن الأمة تمتلك طاقات بشرية ومادية بالغة الأهمية ، وأنها قدّمت للحضارة الانسانية ـ وعلى مستوى الأفراد والطاقات عدداً كبيراً من المبدعين في كافة الميادين والمجالات العلمية والفكرية والفنية ، وغيرها من مجالات الابداع الانساني ، وقد أسهم هؤلاء في مسيرة النهضة الحضارية الانسانية العامة ، وفي دفع عجلتها إلى الأمام[1] .

ـ والثانية ، أن هذه المواهب ، وهؤلاء المبدعين على رغم كفاءاتهم التي لا يستهان بها ـ وعلى رغم مساهماتهم الفائقة في النهضة العالمية لم يستطيعوا خلق نهضة قومية محلية لأسباب يرجع بعضها الى تبعثرهم في البلدان ، والى عدم وجود الخطة التكاملية الموجهة التي تجمع جهودهم بعضها إلى بعض ، وتقوم بتوجيهها وربطها باحتياجات الواقع ومتطلباته الاساسية والأكثر أولوية ، كما يرجع بعضها الآخر إلى الظروف العامة المحيطة بهم سياسية واقتصادية واجتماعية ، وما سوى ذلك .

في هذه الظروف يبرز دور الدراسات العليا ، وضرورة تحملها القسط المناط بها من التبعات الحضارية المترتبة .

٤ ـ الدراسات العليا ، إمكانيات وتبعات

لا شك أن الدراسات العليا على اختلاف ميادينها وفروعها تستقطب ـ أو يفترض أنها تستقطب ـ أكثر العناصر كفاءة ، وأكثرها حيوية وطموحاً في الوقت نفسه . . . أي أنها تستقطب الفئات التي ينبغي أن تمثل عصب المجتمع وطليعته الابداعية الفاعلة والسؤال المطروح الآن هو :

هل تسهم هذه الكفاءات والامكانات في خلق نهضة حضارية طال انتظارها ، أم أن ثمة مسافة شاسعة بين حقول الدراسات العليا ومجالاتها من جهة ، وبين الواقع العربي الاجتماعي والاقتصادي والحضاري ، بكل ما يعتمل في هذا الواقع من صراعات وتفاعلات وآمال من جهة أخرى ؟!

إنه لمن دواعي الأسف القول بأن الحالة الثانية هي القائمة . . أي أن هناك بعداً واضحاً ، بل فجوة ما بين الواقع العربي الراهن ومتطلباته الأولية الملحة ، وما بين نشاطات الدراسات العليا ، أبحاثها ونتائج أبحاثها ، خبراتها ، مبدَعاتها وعطاءاتها في غالبية

٢ ـ أقصد في القرن العشرين بالذات ، وما بالك بالعصور الوسيطة التي كانت فيها المنطقة العربية مركز اشعاع حضاري .

الميادين ، بالطبع يتفاوت حجم هذه الفجوة من دولة عربية إلى أخرى ، ومن مجال من المجالات إلى آخر .

ولنا أن نتصور حجم الخسارة القومية الجسيمة الناجمة عن تبعثر هذه الدراسات العليا ، وبعدها عن متطلبات الواقع وعن انسياقها أحياناً خلف البريق الظاهري وتلبية الطموحات الفردية والسعي وراء الشهرة .

إنني لا أعني بذلك الغض من منجزات الدراسات العليا العربية أو تجاهل ما أحرزته من تطور في كافة الميادين ، ولكنني أقصد بعدها عن تلبية احتياجات الواقع العربي الملحة ، بل والأكثر إلحاحاً . . فنحن لا يهمنا ظهور هذا العالِم العربي الفرد ذي الكفاءة العالية التي خوّلته للمشاركة في أبحاث الفضاء في قاعدة ـ كيب كندي ـ الامريكية مثلاً ، بقدر ما يهمنا ظهور عالِم محليّ ـ ربّما أقل شهرة ـ يسهم في تغطية حاجة من حاجاتنا الهامة . ذلك نظراً لأن مردود فكر وكفاءة العالم الأول قد لا يجدينا في كثير أو قليل وإن هو أرضى طموحاً حضارياً برّاقاً . إذ لا شك أن باحثاً جاداً ودؤوباً في مجال الزراعة يستكشف سُبُلاً وطرائق لتطوير وحفز الانتاج الزراعي ومضاعفة مردوده ، يمكنه أن يفيد الواقع العربي ويساهم في تطوّره ونهضته أكثر من عالِم الفضاء بمرّات ومرّات .

ما أريد الوصول إليه هو أنه بإزاء المأزق القومي والحضاري الذي تمر به الأمة فإنه يصبح من الضروري إعادة النظر في طموحاتنا الشخصية ، وكذلك في جهودنا المبذولة مع ضرورة مراعاة احتياجات الواقع الملحّة وذات الأولوية والعمل على تلبيتها ولو كان ذلك على حساب مطامحنا الحضارية الفردية وصبواتنا إلى المجد والشهرة والابداع في كثير من الاحيان .

● ـ واقع الدراسات العليا ، بعض المؤشرات بعض المحاذير

لا بدّ لنا من الاعتراف ـ إذ وصلنا إلى هذه النقطة ـ بأن الدراسات العليا في البلدان العربية لقيت اهتماماً طيباً في السنوات الاخيرة وخصوصاً في الأقطار التي تنهج نهجاً ثورياً تقدمياً .

ففي القطر العربي السوري مثلاً اتسعت وتنوّعت ميادين الدراسات العليا في الجامعة الأم « دمشق » كما تمّ افتتاح عدد جديد من فروع الدراسات العليا في بعض كليات جامعتي حلب وتشرين ، وذلك بغية إتاحة الفرص لعددٍ أكبر من المستحقين كي يتابعوا تعليمهم العالي ، خصوصاً من أبناء الطبقات الفقيرة ، وكذلك من أجل الحرص على ربط الدراسات بمحليتها أي بواقعها المحلي ، مع عدم التفريط بالكفاءة العلمية المطلوبة .

هذا كما تم إيفاد أفواج جديدة من الطلبة الموفدين لمتابعة تحصيلهم العالي في

الخارج . . . كما يحرص المسؤ ولون المختصون من حين لآخر على استدعاء الباحثين والاساتذة المختصين لإلقاء المحاضرات في القطر على طلبة الدراسات العليا وعرض خبراتهم وتجاربهم عليهم وكل هذا أعطى الدراسات العليا دفعاً وتسارعاً ملموسَين .

ولا شك أن ثمة مؤشرات ايجابية مماثلة يمكن للمرء أن يلمسها في أقسام الدراسات العليا في العديد من البلدان العربية الأخرى لكن هذا لا ينفي ـ بالمقابل ـ وجود عددٍ مقابل من السلبيات والمحاذير التي لحقت وتلحق بغالبية ميادين الدراسات العليا وشكلت وتشكل عائقاً بينها وبين تفاعلها مع الواقع ، وأداء مهامها المطلوبة .

ولسوف نشير إلى بعض هذه المحاذير ، مصنّفين إياها في زمر متعددة تتعلق كل زمرة بطرفٍ من أطراف الدراسة العالية

أ ـ أمور تتعلق بالعنصر البشري :

أي الأفراد المهتمين بمتابعة الدراسة العالية ، والحوافز التي تدفعهم الى هذه المتابعة ، أهي دائماً حوافز علمية محضة ، أم أنها حوافز مادية أحياناً ، حضارية اجتماعية أحياناً أخرى . . لا ريب أن الدافع العلمي هو الأساس ـ أو ينبغي أن يكون كذلك ـ ولكننا نجد في الآونة الأخيرة أعداداً لا يستهان بها تندفع في طريق الدراسة العالية تلبية لاغراء حضاري ، أو لاحراز مكانة اجتماعية ما زالت تحظى بالتقدير والثناء وفقاً لسلّم المعايير الاجتماعية السائدة . . . ومن هنا يتحول العدد الاكبر من هؤلاء إلى طالبي شهادات ، وألقاب ، وربّما مناصب ، ويتوقف عطاؤ هم العلمي بُعَيْدَ حصولهم على الشهادات المطلوبة ذلك نظراً لأن الواقع العلمي لم يكن هو الدافع الجوهري المحرك . دعْ عنكَ من يتوقفون على الدرب تعباً أو مللاً ، أو لأن ميادين الحياة اجتذبتهم إلى مجالات أخرى أكثر إغراء . إن أمثال هؤلاء ، في ظروف مثل ظروفنا الراهنة ، وفي حال غياب التخطيط والبرمجة ، ليس يهمهم في شيء ، أبحثوا في موضوعات تتعلق بالواقع أم لا تتعلق ، فالمطلوب هو الوصول إلى الأهداف الفردية أولاً .

وإذا أضفنا إلى ذلك تدني المستوى العلمي في بعض الأحيان ونقص أو ضآلة ما حصله الفرد في مراحل ما قبل الدراسة العليا ، ووقوع الكثيرين ـ خصوصاً من أبناء الطبقات الكادحة ـ تحت سطوة ظروف اقتصاديةسيئة فإننا نستطيع القول بأن ثمة مشكلات تتعلق بالعنصر البشري ما يزال علينا أن نحلها قبل أن نفكر في ربط الدراسات العليا بالواقع .

ب ـ أمور تتعلق بالمؤسسة التعليمية ـ أي الجامعة

وأعني بهذه الأمور طبيعة المناهج ، والأساليب التعليمية ، قوانين وأنظمة الدراسة ،

ومدى خضوع هذه القوانين والانظمة والمناهج والأساليب لتصوّر معينّ منبثق من الواقع الاجتماعي ومتبصر باحتياجاته ولوازمه ، وملتزم بها في الوقت نفسه .

الذي نشاهده أن الجامعات العربية تأخذ طابعاً رسمياً أكاديمياً أكثر من اللزوم ، وتخضع لقوانين وأنظمة فيها شيء من الثبوت وأكاد أقول الجمود بمعنى أنها لا تسعى لتطوير هذه الأنظمة من حين إلى حين ، كما أنها تحصر نفسها في جُزر أكاديمية بعيدة عن أمواج الواقع ومتغيّراته المتحركة باستمرار . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نرَى أنها تعتمد في عدد كبير من كوادرها على التحصيل الخارجي أي البعثات إلى دول أوروبا وأمريكا وبعض الدول الاشتراكية ، ومن الطبيعي أن يتم توجيه دراسات هذه الكوادر في مجالات تلبي حاجات البلدان التي أوفدوا إليها ، وحاجات باحثيها ، ومكتباتها وأرشيفاتها الخاصة ،

لقد عمد المسؤ ولون في القطر العربي السوري في السنوات الأخيرة إلى دعم وتشجيع الدراسات العليا المحلية ، وخصوصاً في الميادين النظرية ، وبعض الميادين العلمية التطبيقية ، مع مراعاة ما قد يحتاجه ذلك من استحضار بعض الخبرات الخارجية واستضافة بعض الاساتذة والباحثين لإلقاء محاضرات مؤ قتة ، أو للاشراف الدائم .

نقول لابدّ لنا من إعادة النظر في القوانين والأنظمة الجامعية وإعادة صياغتها إذا نحن رغبنا في ربط المؤ سسة الجامعية وخصوصاً ميادين الدراسة العالية بمقتضيات الواقع .

حـ : أمور تتعلق بالواقع المحيط الذي تعيش فيه الدراسات العليا وهو واقع يموج بالعلل والأخطار ، ومظاهر السلب ، ولاشك أن التردي الذي يلحق جانباً من جوانب المجتمع من شأنه أن ينعكس بصورة أو بأخرى على الجوانب الأخرى ، ويؤ ثر فيها .

إن تسارع وتائر الأحداث السياسية ، وترديها يعطي انطباعاً عاماً بأن الأولوية الماسة إنما يجب أن تولى للقضية السياسية ـ ولعمري إن هذا لصحيح ـ ولكنه في بعض الأحيان يتخذ قناعاً أو مظلة لكثير من الإهمال في كافة القطاعات والمجالات الأخرى وهنا مكمن الخطورة ، إذ أن أولوية القضية السياسية هذه الأولوية المطلقة ينبغي ألاّ تصرفنا عن الاهتمام بالجوانب والمجالات الأخرى وخصوصاً إذا كانت تمثل عصباً حساساً كالدراسات العليا ، وهي عصب يمكن الافادة منه وتوظيفه حتى في مجال القضية السياسية الأساسية .

مازالت هناك نظرة تقليدية تدمغ عناصر الدراسات العليا بصفة النخبة المتعالية ، والبعيدة عن الواقع ، والمترفعة عن مشاغل الجماهير ، وهذا إن وجد ينبغي أن نسهم في تصحيحه لا في تكريسه كواقع .

ولاشك أن الالتفات إلى الواقع ، فهمه ، فهم نواقصه وسلبياته ، التعرف العلمي

الموضوعي عن كثب وتجربة على متطلباته الحقيقية ، على أمراضه وعلله ، والاسعافات الأولية اللازمة لمواجهة هذه العلل ، أمر أولي يجب أن تضعه الدراسات العليا نصب أعينها ، وهي تفكر في القيام بواجبها إزاء الواقع الذي تنتمي إليه .

أعتقد أن الاشارة إلى هذه المحاذير جميعاً ، أمر جدُّ ضروري وأكثر منه ضرورة العمل على تلافيها ، وتجنب ما تتركه من منعكسات سلبية ، وهذا يوشك أن يكون شرطاً أولياً للبدء في ربط الدراسات العليا بمشروع النهضة المرجوة أي بمعنى آخر في ربط ميادينها ونشاطاتها المختلفة بمتطلبات الواقع العربي الأولية والملحة .

٦ـ ميادين الدراسات العليا وسبل ربطها باحتياجات الواقع

تتعدد ميادين الدراسات العليا ، وتتنوع فروعها باطراد ، وذلك ما بين الميادين النظرية والعلوم الانسانية ، وبين الميادين العلمية التطبيقية ، الى مجال العلوم الطبية والصيدلانية الى المجالات التقنية والهندسية بكافة فروعها .

وتكاد هذه الميادين . لو أخضعناها لعملية إحصائية ـ أن تغطي جوانب واسعة من جوانب الواقع ، بحيث تستطيع إذا أمكن النهوض بها ، أن تنهض بأطراف من شأنها أن تحمل أو تحفز المجتمع بأسره على النهوض والارتفاع .

لكن كيف السبيل إلى ربطها بمتطلبات الواقع ، والى النهوض بها في الوقت نفسه ؟

أعتقد أنهما عمليتان متلازمتان ومتكاملتان بحيث أنهما يمكن أن تمشيا معاً فتحفز إحداهما الأخرى .

ولابد لي قبل البدء في الحديث عن كل ميدان على حدة من تقديم جملة من النقاط الأساسية التي أرى ضرورة أخذها بعين الاعتبار ، ونحن في صدد هذه المهمة ، والنقاط هي بمثابة شروط أولية من أجل ربط ميادين الدراسات العليا بعجلة الواقع ، هذه الشروط . أو لنقل أهمها في رأينا هي :

(١) ـ التخطيط أولاً :

من الملحوظ أن الدراسات العليا في المنطقة العربية تفتقد الى الخطة الشاملة ، إنها متروكة للأنظمة التقليدية ، وللظروف مثلما هي متروكة للرغبات والميول الفردية ، فافتتاح أقسام وفروع جديدة لا يتم على أساس الحاجة الماسة إليها في هذه الفترة أو تلك ، وفي هذه المنطقة أو هاتيك بقدر ما يتم على أساس تحقيق مظهر علمي حضاري ليس أكثر ، وكذلك إيفاد البعثات العلمية إلى الخارج ، أو قبول الطلبات المحلية للدراسة العليا كل ذلك يتم ـ في أغلب الأحيان ـ دونما خطة واضحة ، وأحياناً تحت دافع الاغراء الحضاري والبريق

الظاهري ، الذي لا يخلو من فائدة ولكن على نطاق ضيق وعلى مستوى الأفراد أكثر منه على المستوى العام .

والحق اننا إذا أردنا ربط شبكة الدراسات العليا بالواقع وحاجاته الراهنة ، فلا بد لنا من وضع الخطة الشمولية المتكاملة لذلك . وهي خطة رئيسة تتفرع عنها مجموعة من الخطط الفرعية والجزئية التي يتوخى أن تشمل كافة ميادين الدراسات العليا وفروعها .

والخطة ينبغي أن تبدأ بتحديد الأهداف[1] ، ثم تعيين أو اختيار السبل التي توصل إلى هذه الأهداف . . قد يقال لنا إن الواقع ، متخلف ، وإن ربط الدراسات العليا بعجلته من شأنه أن يشد هذه الدراسات إلى الوراء ، وأن يعوّق تطورها في وقت نطمح فيه بدفعها إلى الأمام .

والحق أن التقدم أو التخلف بنية كلية مترابطة لا تنفصم عراها وما من شريحة متقدمة بإطلاق في مجتمع متخلف، ولا شك أن تقدم الدراسات العليا وتطورها وازدهارها أمر مقرون بتقدم الواقع من حولها وبمدى اسهامها في تطوره وتقدمه ، هذه قاعدة .

فلنبادر ـ إذاً ـ على مستوى الجامعة العربية إلى وضع هذه الخطة المشتركة لهذا الغرض الجليل ولتكن خطة تحدد الأهداف والسبل والوسائل ، تقدم الأولي والملح على ما هو أقل أولوية تقدّم الجوهر واللباب على المظاهر البراقة المخادعة ، تحدد واجبات ودَوْر ومستحقات كل ميدان من ميادين الدراسة ، وكل فرع من الفروع ، ومدى قدرته على المساهمة ، . . وعندما ننتهي من وضع مثل هذه الخطة ، نكون قد وضعنا أقدامنا على مستهل الطريق .

(٢) ـ مراقبة الخطة والسهر على تنفيذها .

قد يقال : ما أكثر ما خططنا وما أكثر ما وضعنا من مشاريع ولكن ما أقل ما حققنا وما أقل الحصاد !!

إن الخطط والمشاريع شيء وتنفيذها شيء آخر ، وهنا نرى ضرورة تشكيل لجان لمتابعة سير الخطة الرئيسية ومراقبة تنفيذها ، والحيلولة دون تجميدها أو الخروج منها أو الانحراف بها ، وذلك لضمان تنفيذها وعدم تحولها إلى خطة صوريّة مجردة .

(٣) ـ طبيعة اختيار الموضوعات

نصل الآن إلى مسألة يمكن أن تدخل في صلب الخطة الأولية المقترحة ، ألا وهي العمل

---

٣ ـ سبق ان قدمنا عن مشروع النهضة القومية الشاملة التي ينبغي أن تكون الهدف المركزي

على توجيه الأبحاث والموضوعات وجهة واقعية نابعة من متطلبات الواقع وحاجاته ، فما أكثر ما ينفق الدارسون من جهد ووقت في موضوعات هامشية الأهمية أو بعيدة عن القضايا الملحة . أو أنها استنفدت فرصتها من الدراسة والاهتمام .

وكما قلنا آنفا فليست تهمنا في ضوء مشروعنا المقترح الموضوعات ذات البريق كالموضوعات المتعلقة بالذرة وغزو الفضاء بقدر ما تهمنا الموضوعات التي تخدم واقعنا ، لذا يجب أن تأخذ الخطة بعين الاعتبار أهمية توجيه الطلاب والباحثين في المجالات المطلوبة ، لا من باب فرضها عليهم وإلزامهم بها وإنما من باب طرح الموضوعات المطلوبة وتقريبها من أذهانهم وإثارة الجدل حولها ، وعرضها عرضاً يمكن أن يحببها إليهم ، ويشجعهم على تبنيها والاختيار منها . وما أكثر ما نلتقي بطلاب يبحثون عن موضوعات ويجرون الاستشارات بشأن ذلك ، إننا نستطيع في إطار الخطة أن نوجههم باتجاه الموضوعات التي تخدم الواقع وتعالج مشكلاته وقضاياه .

والجدول اللاحق يعطي نماذج لبعض الموضوعات التي يمكن التوجه نحوها والاهتمام بها .

اسم الكلية	الموضوعات
كلية الطب	ـ أبرز الأمراض السارية والمستوطنة في المنطقة وسبل معالجتها ـ الأمراض الموسمية ـ وسبل الوقاية والعلاج ـ الوعي الصحي ـ وكيفية نشره وتنميته ـ أبرز العلل النفسية وعلاقتها بمشكلات المجتمع العربي
كلية الهندسة كهرباء	ـ المشاريع الانمائية وكيفية توسيعها وخفض نفقاتها دراسة مدينة ما ـ مدينة الباحث مثلاً ـ وبحث متطلباتها الانمائية الطاقة الكهربائية العربية والسبل الكفيلة باستثمارها ـ الثورة السيبرنطيقية الحديثة واستيعابها عربياً .
كلية الزراعة	ـ دراسات ميدانية تتناول طبيعة التربة ، والآفات الزراعية في مناطق الباحثين وسبل معالجتها محلياً .

- الدورة الزراعية في المنطقة الفلانية .
- أساليب تحسين الانتاج .
- الثروة الحيوانية .
- استصلاح الأراضي والبحث عن سبل للتوسع في الزراعة

كلية الآداب والعلوم الانسانية	الأدب العربي وقضايا الواقع
	الأدب وبناء شخصية الانسان
	الأدب والصراع العربي الصهيوني
	- البعد الحضاري في التاريخ العربي .
	- الصراع العربي اليهودي في التاريخ .

(٤) - البحث عن مناهج ملائمة للمعالجة .

ولكن قد يحصل أحياناً أن الطلاب الباحثين يختارون الموضوعات المناسبة بيد أنهم عندما يبدؤ ون في البحث جدياً لا يحققون أهدافهم لعدم عثورهم على المناهج المناسبة . . والحق أن هناك مناهج مناسبة لكل طائفة من الموضوعات ، ومهمة الأساتذة المشرفين أن يأخذوا بأيدي الباحثين للعثور على المناهج الملائمة لطبيعة أبحاثهم ، تلك المناهج العلمية الشمولية الطابع والتي تربط بين المشكلة موضوع الدراسة ، وبين ظواهر المجتمع الأخرى ، وكذلك المناهج التي تعتمد على الدراسة الميدانية للواقع واستقصاء جوانبه والتي تبدأ من الواقع العام لتصل إلى نتائج تتعلق بهذا الواقع العام وتعالج قضاياه .

(٥) - دور المؤسسة التعليمية في تسهيل العمل وتغطية نفقاته .

نلاحظ كثيراً أن نفراً من الباحثين - خصوصاً في ميدان الدراسات الأدبية والانسانية ليسوا بمتفرغين للدراسة والبحث ، كما نلاحظ أن بعضهم يعوزه المورد المادي للانفاق على متطلبات الدراسة وما تحتاجه من مراجع وأدوات للبحث ورحلات علمية وما إليها .

وربما كان بوسع المؤسسة التعليمية (الجامعة) أن تيسر عمل الطالب الباحث بتقديم العون المادي ، وكذلك بتقديم بعض المعلومات البيانية والاحصائية ، لقد تحدث بعضهم في الاونة الأخيرة عن مشروع إنشاء بنك عربي للمعلومات والخبرات تكون له فروع في سائر الجامعات العربية ويكون في وسع أي طالب الاستعانة بهذه المعلومات التي يمتلكها هذا كما نرى أن من واجب المؤسسة التعليمية عدم قبول الموضوعات البعيدة عن الواقع . وعدم

تبديد طاقة الطالب في الروتين والمعاملات الشكلية التي كثيراً ما تمتص طاقة الطالب وحماسه ، وكذلك تستطيع المؤسسة أن تسهم في البحث عن وسيلة لوضع نتائج الدراسات والبحوث موضع التطبيق العلمي والميداني .

(٦) ـ تبادل الخبرات والمعارف والمساعدات بين الجامعات العربية .

قد تحتاج بعض الاطروحات إلى الافادة من تجارب مماثلة تم إجراؤها في جامعة عربية أخرى ، هنا يصبح العمل الفردي أمراً صعبا ومحدود النتائج بينما يبدو تبادل المعلومات والخبرات ضرورياً وهاماً ومن الممكن أن تنهض فكرة بنك المعلومات العربي بهذه المهمة . كما يستحسن الاكثار من الرحلات العلمّية بين الجامعات، وعقد المؤتمرات للباحثين، وكذلك المنح المتبادلة المحدودة الأجل بين جامعة عربية وأخرى ، وتبادل الزيارات .

وما أشدَّ حاجتنا الى وجود هيئة تنظم هذه الأمور جميعاً وتشرف على تحقيقها بصورة ايجابية مرضية .

(٧) ـ البعثات الخارجية موقف واقتراح .

نصل الآن إلى قضية نراها جد هامة ألا وهي قضية البعثات الخارجية وما قد يتعرض له طلابنا وباحثونا من عوامل الجذب والاغراء أو الابتزاز العلمي ، أو في أحسن الأحوال الانصراف عن متطلبات واقعهم إلى تلبية متطلبات البلدان التي يوفدون إليها ، هذا الانصراف الذي يبلغ أحيانا حد الانفصام أو الانسلاخ عن الواقع .

إننا لا ننكر أهمية التفاعل العلمي والحضاري ولكننا الآن بصدد عرض وجهة نظر مفادها أن أن استحضار الخبرات الأجنبية أو استضافتها من حين إلى حين قد يكون أكثر جدوى وفاعلية في هذا المضمار من ايفاد الطلاب . إذ أن الباحث في هذه الحالة يظل على صلة بواقعه واحتياجات هذا الواقع .

ترى أليس من الأفضل أن يوفد الطلاب لفترة قصيرة تتراوح بين العام والعامين للتعرف العلمي والحضاري واتقان لغة أجنبية ثم ليعودوا بعد ذلك لاستكمال دراستهم في البلد الأم ومراعاة احتياجاته .

لربما كانت هناك نقاط كثيرة أغفلها هذا العرض لايجازه وسرعة إعداده ، ولكن هذه يمكن استدراكها بالحوار والمناقشة كي نصل إلى جملة مواقف حول هدف لا أظن أننا نختلف عليه ألا وهو ضرورة ربط هذا الحقل الهام والخطير من حقول المجتمع بمتطلبات المجتمع وأهدافه المشروعة في التطور وصنع الحضارة .

هل أعود وأختتم بمثل ما بدأت به ؟ ألا وهو حاجتنا إلى إلى نهضة عربية جديدة وشاملة الأركان تبني دعائمها على جملة من الحقائق الأولية وفي طليعتها حقيقة أساسية هي أن قيمة أي

بحث أو علم أو إبداع إنما تقاس بمدى وقوفها إلى جانب الجماهير واسهامها في تنمية وعيها ورفع مستواها ومعالجة مشكلاتها .

إن الابداع الحقيقي ليس ما ينبع من الفردية والذاتية ليلبي طموحاً شخصياً ضيقاً للباحث أو ليرضي غروره العلمي . وإنما الابداع هو ما ينبع من الصلة الوثيقة بين الباحث والناس ، وإحساسه بدوره في جماع عملهم الحضاري ودفع وتائره نحو الأمام ودائماً .